Received	17 June 2025	Accepted	18 June 2025
Revised	29 June 2025	Published	30 June 2025
Volume	6, June 2025	Pages	103-116
http://doi.org/			

To cite:
Muhammad Amaechi Bin-Ali. 2025. Khilāf nuḥāt al-Baṣrah wa al-Kūfah wa-āthāruhu fī taṭawwur al-muṣṭalaḥāt al-naḥwiyyah: dirāsah waṣfiyyah taḥlīliyyah. *Al-Qalam International Journal of Arabic Studies.* Vol. 6 (June 2025): 103-116
DOI: http://doi.org/

خلاف نحاة البصرة والكوفة وآثاره في تطور المصطلاحات النحوية: دراسة وصفية تحليلية

The Disagreement Between the Basra and Kufa Syntacticians, and Its Effects on the Development of Grammatical Terminology: A Descriptive and Analytical Study

Muhammad Amaechi Bin-Ali [1]

الملخص

عالجت المقالة مسألة خلاف نحاة البصرة والكوفة وآثارها في تطوّر المصطلحات النحوية: دراسة وصفية تحليلية. ويهدف البحث إلى الإثبات بأنّ النحاة اتّبعوا الطريقة العلمية في التفكير النحوي ومعالجة قضاياه، كما يثبت بأنّ بعض المصطلحات الكوفية موضّحة للمصطلحات البصرية مع تحليل بعض الانتقادات الموجّهة إلى نحاة الكوفة. وسيستفيد قارئ هذا البحث من معرفة آثار الخلاف النحوي في تطور المصطلحات النحوية، وخاصة دور المصطلحات الكوفية في توضيح المصطلحات البصرية. ومن نتائج البحث أنّ الخلافات أدّت إلى كثرة المصطلحات وتوضيح بعضها لآخر، ونموّ النحو، وإنكار نسبة مخالفة البصريين، والخلط في أذهان الدارسين، ومبدإ خالف تعرف لمصطلحات الكوفة، مع ذكر أسباب تعددها.

الكلمات المفتاحية: مصطلحات، كوفية، توضّح، بصريات.

Abstract

This article addresses the issue of disagreement between the grammarians of Basra and Kufa and its effects on the development of grammatical terminology: a descriptive and analytical study. The

[1] Senior Lecturer at Department of Linguistics Foreign and Nigerian Languages, Faculty of Arts, National Open University of Nigeria. e-Mail: mamaechibinali@noun.edu.ng

research aims to demonstrate that grammarians followed the scientific method in grammatical reasoning and addressing its issues. It also demonstrates that some Kufi terminology clarifies Basra terminology, while analyzing some of the criticisms directed at Kufi grammarians. The reader of this research will benefit from understanding the effects of grammatical disagreement on the development of grammatical terminology, particularly the role of Kufi terminology in clarifying Basra terminology. Among the research findings are that disagreements led to a proliferation of terminology, some clarifying others, the growth of grammar, the denial of any opposition against Basra grammarians, and creating confusion in the minds of learners. The principle of disagreement is a recognition of Kufi terminology, while also highlighting the reasons for its multiplicity.

Keywords: *Terminogies, Kufis, Clarify, Basras*

المقدمة

إنّ الاختلاف في الآراء من طبع البشر، "ويتميز الإنسان في طبيعة هذا الخلاف بما له من نشأة، وطريقة تفكير، وتأثير البيئة التي نشأ فيها على ما يوجد من خلاف، وعلى أسلوب إدارة هذا الخلاف، وأنه لابدّ أن يكون مبنياً على أسس سليمة، لا تصادم نصا من الكتاب أو السنة، كي يصبح خلافاً بناء، يظهر فيه النضوج الفكري والرأي والرأي الآخر، وأنّ نهاية الخلاف إنما هي تلاقٍ ووصول إلى غاية سواء، ونتاجها سعة في العلم لا نهاية صدام وهدم" (جعفر، ٢٠١٠، ص. و)، والاختلاف العلمي الناتج من تفكير بنّاء في مسائل مشتركة بين أفراد ذوي خلفية علمية وثقافية موحّدة في فنّ من الفنون أو علم من العلوم يؤدّي إلى تطوّر في تلك الجهة، ولكلّ فرد نافذة يطّلع منها إلى الحياة تختلف عن غيره، ولكن في نهاية المطاف تتقارب مناظرهم وتتضافر لتحقّق نتائج ذات أهمية في حياة البشر من خلال أدلة يقينية وحجج علمية، أما الاختلاف غير العلمي النابع من تفكير غير بنّاء فإنّه يؤدّي إلى نتائج وخيمة تنتهي بأصحابها إلى الخصومة والعداوة حتى التقاتل. وقد اتسعت دائرة الخلاف بعد ظهور المذاهب النحوية، وأصبح كل مذهب يدلّل على ما هداه إليه تفكيره من نظرة إلى المسائل المختلف فيها، ويأتي بالأدلة التي توافق العقل من الكتاب والسنة أحياناً، ومن الشعر وكلام العرب أحياناً أخرى، مما جعل لهذه الخلافات أثراً كبيراً في تطور النحو العربي في كلا المدرستين البصرية والكوفية، ويركّز هذا البحث على كشف ما طرأ على المصطلحات النحوية من تطور في كلا المدرستين نتيجة اختلافات نحاتهما. ويُعدّ المصطلح النحوي من الموضوعات التي تمثّل الأساس الذي يقوم عليه النحو، ذلك أنّ المصطلح مفتاح العلم، فهو الأداة التي تحدّده وتميّزه عن غيره من العلوم، فثبات العلم ورسوخه مرتبط بثبات مفاهيمه ومصطلحاته. وقد عمل النحاة جاهدين على إرساء معالم النحو باستعمال مجموعة من المصطلحات ما لبثت أن شاع استعمالها بين تلاميذهم الذين أكملوا المسيرة، وعملوا على تطوير بعض المصطلحات التي لم تكن قد استقرّت بعد في تلك الفترة من الدراسات النحوية، وبهذا يكون المصطلح بمثابة الطريق المؤدّي إلى فهم الظاهرة النحوية بشكل صحيح (ابن علي، ٢٠١٩)، وسيفيد قارئ هذا البحث من معرفة آثار الخلاف النحوي في تطور المصطلحات النحوية، وخاصة

دور المصطلحات الكوفية في توضيح المصطلحات البصرية. وطالما يُنظر إلى الخلافات النحوية نظرة سلبية، وتُنسب إليها أسباب تعقيد النحو العربي، فقد ألّف النحاة كثيراً في الخلاف النحوي، وخاصة ما كان بين مدرسة البصرة والكوفة، ذاكرين له منشأ وأسباباً ورجالاً من العلماء خاضوا غماره، مشيرين إلى نار عداوة تأجّجت بين الطرفين ومنافسة شرسة من أجل الفوز بلواء النحو والظفر بوسام التفوق والغلبة، ولكنهم لا يذكرون هذه الخلافات بخير ولا يربطون بها تطور النحو العربي، بل يكتفون بذكر ما أنتجه بعض علماء النحو وتلاميذهم من بعدهم. وقد اختار الباحث الكتابة في هذا الموضوع ليثبت ما للخلافات العلمية من آثار في تطور المصطلحات النحوية نتيجةً للتفكير البنّاء، وتحديداً لطرق التفكير النحوي ومجالاته. وإنّ كثرة الشكاوى من قبل طلاب النحو وحتّى بعض مدرّسيه من صعوبة هذه المادة، ومشقة مطالعة مسائلها المختلفة، ومعاناة تتبّع قضاياها الكلية والفرعية مع ما يداخلها من اختلاف الآراء والاستثناءات القواعدية، جعل الباحث يقف من هذه المشكلة موقف المتأمّل الناظر نظرة ثاقبة، ويحرص حرص الباحث المتفحّص الذي يغوص في بطون أمهات كتب النحو مقلّباً صفحاتها علّه يظفر بحلّ لهذه المعضلة أو يحصل على الأقلّ ما يفسّر به هذه الظاهرة عند الطلبة والباحثين، وفي غضون استقراء المصادر واستنطاق المراجع المتعلقة بالمسائل الخلافية وجد الباحث كما يقال إنّ "مُكْرَهَ أَخَاكَ لَا بَطَل"، فقد حصل على كمٍّ هائل من مؤلّفات العلماء في قضيّة الخلاف النحوي، فازداد رغبة في التنقيب وشوقاً في الاستطلاع.

منهجية البحث

قد انتهج الباحث في هذه الدراسة منهج الوصف والتحليل، فاستقرأ ما يتعلّق بالموضوع من مؤلّفات العلماء والباحثين، ثم عالج بعض الانتقادات الموجّهة إلى المصطلحات الكوفية معالجة تحليلية. أمّا أسئلة البحث فهي: ما المراد بالخلاف أو الاختلاف عند النحاة؟ ومتى وكيف نشأ الخلاف النحوي؟ وما آثار هذه الخلافات في تطوّر المصطلحات النحوية؟ وما هي المصطلحات التي اختلف فيها نحاة البصرة مع نحاة الكوفة؟ وسيُجاب عن هذه التساؤلات من خلال مباحث تتناول مفهوم الخلاف والاختلاف، وتأريخ نشأة الخلاف النحوي، والمصطلحات البصرية التي تقابلها مصطلحات كوفية، والانتقادات الموجّهة إلى نحاة الكوفة مع تحليلها.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى الإثبات بأنّ النحاة قد اتّبعوا الطريقة العلمية في التفكير النحوي ومعالجة قضاياه، ولهذا كانت أفكارهم بنّاءةً أدّت إلى تطوّر مصطلحات النحو العربي، كما يهدف البحث إلى الإثبات بأنّ بعض المصطلحات الكوفية موضّحة للمصطلحات البصرية، ويهدف البحث أخيراً إلى تحليل بعض الانتقادات الموجّهة إلى نحاة الكوفة.

الدراسات السابقة

الخلافات النحوية موضوع شغل بال النحاة، منذ أن فكّر العلماء في وضع القواعد التي ترشد غير العرب وتعينهم على تكلم العربية كالعربي، وتقيهم من الأخطاء أثناء تلاوة الذكر الحكيم، إلا أن عصر سيبويه والكسائي شهد ضراوة الخلاف، ونيران الخصومة بين العالِمَين وأصحابهما، والتي أدّت إلى تأسيس المدرسة البصرية والكوفية. وقد ألّف العلماء مؤلّفات كثيرة في هذا الموضوع، واستطاع الباحث أن يحصل على بعض منها مما يخص البحث، وهي كالتالي:

١. الخلاف النحوي بين المدرستين البصرية والكوفية: رفع المبتدأ والخبر نموذجا، للباحثة م.م. زينب أموري داود، مجلة الجامعة العراقية ج٤، العدد٢، ص:٢٤٩- ٢٥٦
٢. اختلاف الأراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة: دراسة وصفية تحليلية، للباحث محمد معروف، جامعة مولانا مالك ابراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج، ٢٠١٠م.
٣. اختلاف النحاة، ثماره وآثاره في الدرس النحوي، للباحث عبد النبيّ، محمد مصطفى هيبه جعفر، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.
٤. الخلاف النحوي الكوفي، جبالي، حمدي محمود حمد، رسالة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، أردن، ١٩٩٥م،
٥. الخلاف النحوي: نشأته، أسبابه، مظاهره، أكرم ناصر حسين، مجلة مركز جزيرة العرب للبحوث التربوية والإنسانية، ج١، العدد١، ٢٠١٩م، ص:١٥٣م-١٦٩م.
٦. الخلاف النحوي وحقيقة المدارس النحوية، أمجد عيسى طلافحه وأحمد محمد أبو ذلو، جامعة اليرموك، البلقاء للبحوث والدراسات، ج١٦، العدد٢، الرقم٣، ٢٠٢٠م.
٧. المصطلحات النحوية بين البصريين والكوفيين، للباحثة عبد الرحيم، وقا سعيدة، جامعة محمود قشغاري برسقاني الشرقية.
٨. قيمة الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين، حنان محمد أحمد أبو لبدة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ج١١، العدد٤، ٢٠١٥م.
٩. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، كلية الآداب والعلوم، ط٢ بغداد، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.
١٠. من مسائل الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين في شرح ابن عقيل، كواكب محمود حسين، مجلة كلية التربية الأساسية، ج٢٠، العدد٨٥، ٢٠١٤، ص:١٧٥.

فهذه البحوث والكتب تعالج مسائل الخلاف النحوي، والنحاة، وتاريخ الخلاف النحوي، ومصطلحات البصرة والكوفة، ولكنها لا تعتبر هذه المصطلحات من آثار الخلافات النحوية الإيجابية، وهذا البحث المعنون: خلافات نحاة البصرة والكوفة وآثارها في تطوّر المصطلحات النحوية: دراسة وصفية تحليلية، يربط إنتاج المصطلحات النحوية وتطوّرها بتلك الخلافات المحتدمة بين نحاة البصرة والكوفة موضحة أنّها من ثمارها.

مفهوم الخلاف والاختلاف

الخلاف لغةً كما قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة، أحدها: أن يجيء شيء بعد شيء ويقوم مقامه، والثاني: خلاف قُدَّام، والثالث: التغيير"، والأصل الأول هو المقصود هنا في قولهم: "اختلف الناس في كذا، والناس خلفة؛ أي: مختلفون، لأن كل واحد منهم ينحّي قول صاحبه ويقيم نفسه مقام الذي نحّاه"، وهو معنى قولهم: "الخلاف: ضد الموافقة"، ومن هنا يقال: "خالف الرجل صاحبه: لم يوافقه"، وهو مأخوذ من "خالف يخالف مخالفة وخلافاً" (جعفر، ٢٠١٠، ص ٢). وفي لسان العرب: "الخلاف لغة: المضادة، وقد خالفه مخالفةً وخِلافاً... وتخالفَ الأمران واختلفا: لم يتفقا، وكلّ ما لم يتساو فقد تخالف واختلف" (ابن منظور، ١٣١٤هـ، ص ٩٠-٩١). وعند الأصفهاني: "الخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين" (الأصفهاني، ص ٣١٣)؛ لأن الضدين هما اللذان بينهما غاية الخلاف. أما الخلاف اصطلاحاً، فكما قال أبو الوفاء البغدادي: "فحدّ الخلاف: الذهاب إلى أحد النقيضين من كل واحد من الخصم" (أبو الوفاء، ص ٢٤١)، وذكر الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) أنّ الخلاف: "منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حقّ أو لإبطال باطل" (الجرجاني، ص ٨٨). ولا نجد فرقاً كبيراً بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، ولا بين تعريف أبي الوفاء والجرجاني، ولعلّ تعريف الجرجاني أوضح في عباراته من أبي الوفاء.

تاريخ نشأة الخلاف النحوي

تاريخ نشأة الخلاف النحوي مرّ النحو بأربعة مراحل، ونركّز في المرحلتين الأولى والثانية؛ فالمرحلة الأولى هي مرحلة ظهور النحو، وكانت بصرية خالصة، وانقسم رجال هذه المرحلة إلى طبقتين: فالطبقة الأولى هي طبقة أبي الأسود الدؤلي، وعنبسة الفيل، ويحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم الليثي، وعبد الرحمن بن هرمز، وميمون الأقرن، ولم يكن للخلاف بين هذه الطبقة ظهور واضح، حيث كان نحوها قليلاً، وكان شبه رواية للمسموع، ولم تظهر فيما بينهم فكرة القياس التي كانت نقطة البداية في الخلافات النحوية، وكان اعتمادهم على المحفوظ فقط، ولم يكن بينهم آنذاك كوفي يُذكر، لذلك كان هذا الطور بصريًّا خالصًا (جعفر، ٢٠١٠، ص ١٦). والذي يبدو في هذه المرحلة في أمر الخلاف أنه كان موجودًا، ولكنه كان خلافًا في فهم مضمون النصوص والروايات أثناء استنباط القواعد، ولهذا لم يكن له ظهور واضح في هذه الطبقة لعدم ظهور القياس فيها، ولم يكن هذا الخلاف ولا غيره مما حدث في هذه الفترة المبكرة قد وصل إلى حدّ التنافس بين البصرة والكوفة المتمثلتين في الخليل والرؤاسي، حيث إن أبا جعفر لم يكن إلا بصريًّا أو متعلمًا للنحو في البصرة، ولم يكن بالنحوي الذي يستطيع الوقوف أمام الخليل بن أحمد، وكذلك ما حدث بين البصريين أنفسهم من خلاف في هذه الفترة لم يكن أكثر من مذاكرة وحكاية للأقوال المخالفة والرد عليها أحيانًا، فكثيرًا ما نجد سيبويه يورد لشيخيه يونس والخليل أقوالًا ثم يخالفها فيقول: (وزعم الخليل...)، (وزعم يونس...) (جعفر، ٢٠١٠، ص ٢١؛ المخزومي، ١٩٦٨، صص ٦٦-٦٧). أما الطبقة الثانية فهي طبقة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء، ومع ظهور هذه الطبقة ظهرت أصول النحو وظهر معها الخلاف النحوي، وذلك لظهور فكرة القياس والتعليل، فهذا عبد الله بن أبي إسحاق

الذي كان يخطِّئ الفرزدق في شعره، يقول عنه أبو الطيب اللغوي في *مراتب النحويين*: "وكان يقال: عبد الله أعلم أهل البصرة وأعقلهم، ففرّع النحو وقاسه"، وهذا عيسى بن عمر الثقفي صاحب مؤلفين في النحو وهما *الإكمال* و*الجامع*، وقد أشار إلى فضلهما الخليل بن أحمد، وزادت في هذه الطبقة حركة المناظرات والجدال مما أدى إلى زيادة المباحث النحوية، وتفرعت على أيديهم علوم اللغة إلى نحو وصرف وأصوات ومعاجم، وأولى بدايات المناظرات النحوية كانت على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) وتلاميذه، فهم الذين فتحوا بابها وعقدوا حلقاتها، فكانت مصدرًا يمدّ النحو العربي بالعطاء والنماء (مكرم، ١٩٩٣، ص ١١١). ومن تلك المناظرات التي عقدها ابن أبي إسحاق مع علماء عصره مناظرته مع بلال بن أبي بردة (الزجاجي، ١٩٨٣، ص ١٨٤-١٨٥)، ومناظرته لأبي عمرو بن العلاء (ت ١٤٩هـ) (الزجاجي، ١٩٨٣، ص ٢٤٣)، ومناظرته ليونس بن حبيب البصري (ت ١١٢هـ)، حيث قال يونس: "مضيت إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، فقلت له: كيف تقرأ (فإذا برِق البصرُ) \[القيامة: ٧]؟ فقال: فإذا بَرَق البصر، وفتح الراء، فقمت إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: من أين بك؟ قلت: من عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، فسألته: كيف تقرأ (فإذا برِق البصر)؟ فقال: بَرَق البصر بفتح الراء، فقال أبو عمرو: وأين يراد به؟ يقال: بَرَقت السماء، وبَرَق النبت، وبَرَقت الأرض، فأما البصر فبرِق كما سمعنا" (الزجاجي، ١٩٨٣، ص ٢٤٧). وتعد تلك المناظرات نماذج أوليّة للخلاف النحوي الذي احتدم بين نحاة المذهب الواحد، وهو المذهب البصري، وهذه المناظرات شاهدة ودليل يمكن من خلالها الوقوف على أوائل الخلاف النحوي وبدايات ظهوره الفعلي الذي أخذ شكل المناظرات وطابعها، وهو الذي يمثل بداية الصراعات والنزاعات في المسائل النحوية، وكانت هذه مرحلة تالية للمرحلة الأولية للخلاف النحوي (حسين، ٢٠١٩، صص ١٥٣-١٦٩). أما المرحلة الثانية، فكانت مرحلة الجدال والمناظرات النحوية التي أدت إلى ظهور الخلافات النحوية في الدرس النحوي بأجمعه، فلم توجد مسألة نحوية تقريبًا إلا وظهر فيها الخلاف، وذلك بعد أن انتقل مركز الخلافة من البصرة إلى الكوفة الحاضرة الثانية للعراق، فاتجه الكوفيون إلى علم النحو، فأخذوا أصوله من البصريين ودرسوا على أيديهم حتى ألمّوا بقواعد النحو الأولى، ثم ازدادوا انتشارًا بعد ذلك، وأصبحت لهم مجالسهم وكتبهم الخاصة في النحو، وظهر لهم منهج خاص بهم ولمن بعدهم من الكوفيين، وأصبحت لهم مدرسة تعرف باسمهم، هي مذهب الكوفة أو مدرسة الكوفة، في مقابل مدرسة البصرة النحوية (حسين، ٢٠١٩، صص ١٥٣-١٦٩). وتمتد هذه المرحلة الثانية من عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، وأبي جعفر الرؤاسي الكوفي، والكسائي الكوفي، إلى عصر المازني البصري وابن السكيّت الكوفي، لذا فإن نحو هذه المرحلة بصريّ كوفيّ. ويعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧١هـ) أول من فتح في الإعراب ما يمكن تسميته بالاحتمالات، إذ نراه يعرض كثيرًا من الأمثلة تحمل وجوهًا مختلفة لإعرابها، ومن ذلك تجويزه في "يا زيد الطويلَ والطويلُ" بالضم والنصب، ومن ذلك قولك: "يا هذا زيد" و"يا هذا زيدا"، وعلى هذا النحو كان الخليل يكثر من الاحتمالات في وجوه الإعراب للصيغ والألفاظ والعبارات، كما كان يكثر من التأويل والتخريج حين يصطدم ببعض القواعد التي يستظهرها، وهو في تضاعيف ذلك يحلل ما يعينه على ما يريده من الألفاظ والكلام تحليلًا من توجيه الإعراب والتأويل والتفسير (ضيف، ص ١٥٤). وتمتاز هذه المرحلة بالاتجاه إلى التخصص، فقد خلصت كتب النحو من فروع علوم اللغة الأخرى، حيث

استقصوا أبنية الكلم واستقرؤوا المأثور من كلام العرب شعرًا ونثرًا، واستنبطوا منه القواعد النحوية وقرروها. وكان للخلاف ظهور واضح في هذه المرحلة، فبدأ خلافًا فرديًا بين نحوي وآخر، كالذي كان بين الكسائي والرؤاسي أستاذه، عندما نقض الكسائي أقوال أستاذه التي يرويها الفراء، ولم يكن الخلاف المنهجي قد ظهر في بداية هذه المرحلة، إذ إن الخلاف المنهجي ظهر بعد الطبقة البصرية الثالثة والأولى الكوفية، أي بعد عصر الخليل البصري وأبي جعفر الرؤاسي الكوفي، بدايةً من عصر الكسائي الكوفي وسيبويه البصري، حيث ظهرت في عصرهما المناهج الخاصة لكل من نحاة البصرة ونحاة الكوفة، وبدأ الخلاف يأخذ جميع أشكاله في المناظرات والمحاورات، فكثر بذلك التأليف النحوي، ومع تمايز اتجاه كل من نحاة البصرة والكوفة ظهر ما يسمى في الدرس النحوي بمذهب أو مدرسة البصرة، وكذلك مذهب أو مدرسة الكوفة، ودار بينهما السجال في الدرس النحوي على أساس منهجي أو مذهبي، وخاصة بعد انتهاء الطبقة الثالثة البصرية والأولى الكوفية (ضيف، ص ١٧). وكانت معظم هذه الخلافات تدور حول المفاهيم النحوية والمصطلحات.

نماذج من المصطلحات البصرية التي توضّحها المصطلحات الكوفية

منذ المرحلة الأولى للنحو مرورًا بالطبقات الأولى والثانية والثالثة، حيث عصر الخليل بن أحمد، لم تكن هناك مدرسة أو مذهب خاصّ بالبصريين أو الكوفيين، وإنما كان هناك المذهب النحوي الموحّد في مقابل المذهب الفقهي ومذهب الحديث ومذهب القراءات وغيرها. فبعد أن تتلمذ سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من روّاد المذهبين على الخليل، وأخذوا ينظرون فيما ورثوا من العلم نظرة نقد، اختلفوا في الآراء، فكان هذا الاختلاف دافعًا لهم إلى وضع المناهج العلمية التي يستندون إليها في الردّ على مخالفيهم. فجملة القواعد والأفكار أو المفاهيم والمناهج التي ينتمي إليها رجالها هي رموز المذهب أو المدرسة البصرية في مقابل المذهب أو المدرسة الكوفية، ومما اهتمّوا به تحديد المصطلحات التي ورثوها من أستاذهم الخليل، فغيّروا بعضها أو أبقوها كما هي وأحدثوا غيرها، وحملهم على ذلك التأمل في مسائل النحو ومحاولة التفهّم لقضاياها حتى خالف بعضهم بعضًا، وتميّزوا ببعض مصطلحات استقلّوا بها وأخرى تشاركوا فيها من حيث معانيها وإن اختلفوا من حيث مفرداتها. وتأتي تلك المصطلحات الكوفية المخالفة تبيانًا للمصطلحات البصرية من غير تعمّد، مما يدلّ على أنّ هؤلاء النحاة كانوا أكثر اهتمامًا بالتفكير العلمي والردّ المنهجي والنقد البنّاء من مجرّد العداوة المذهبية أو تطبيق طريقة (خالف تُعرف) (سعد الزعبي، القصيري، بنت أحمد، زمري، ٢٠٠٩، ص ٨)، كما وصفهم بعض الباحثين. ومن تلك المصطلحات: اسم الفاعل مصطلح بصري يقابله الفعل الدائم الكوفيّ، ويريد به الكوفيون ما يريده البصريون باسم الفاعل (المخزومي، ١٩٥٨، ص ٣١٠)، وهو عندهم فعل دائم لفظه لفظ الأسماء ومعناه معنى الفعل لأنه ينصب، فيقال: قائمٌ قيامًا وضاربٌ زيدًا، فالجهة التي هو فيها اسم ليس هو فيها فعلًا، والجهة التي هو فيها فعل ليس فيها اسمًا (السامرائي، ١٩٨٧، ص ١١٥)، وهذا توضيح لمعنى اسم الفاعل عند البصريين. وحروف المعاني مصطلح بصري تقابله عند الكوفيين "الأدوات"، وقد صوّب المخزومي هذا الاصطلاح لأنّ التسمية الكوفية أقرب إلى ما يتطلبه المصطلح من دقّة في الدلالة واختصار في اللفظ (المخزومي، ١٩٥٨، ص ٣١١)، وهو بذلك يوضح المصطلح

البصري. والجرّ مصطلح بصري يوضحه المصطلح الكوفي "الخفض"، وهما مقتبسان من مصطلحات الخليل مع تغيير بسيط، وقد جاء في *مجالس العلماء* أن الخليل سأل الأصمعي أن يفرّق بين مصطلحي الخفض والجرّ، وقد استخدم جمهور النحاة المصطلحين مترادفين لوضوح معناهما، كما استخدم الكوفيون "الخفض" بمعنى "الصفة" (السامرائي، ١٩٨٧، ص ١٣٢). وحروف الجرّ مصطلح بصري يقابله حروف الصفة وحروف الخفض الكوفية، ويسمّيها الكوفيون أيضًا "حروف الإضافة" لأنها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء وتوصلها إليها (المخزومي، ١٩٥٨، ص ٣١٤). وضمير الشأن والقصّة والحديث مسمّيات لشيء واحد عند البصريين، وهو عند الكوفيين "المجهول"، ويطلقونه على الضمير الذي لم يتقدّمه ما يعود عليه، ويرى البصريون أنّ ضمير الشأن إنما يتقدّم جملة يكون هو كناية عنها وتكون هي خبرًا عنه، ويجيز الكوفيون الإخبار عنه بالمفرد مثل: كان قائمًا زيد أو زيدان أو زيدون (المخزومي، ١٩٥٨، صص ٣١١-٣١٢)، وهكذا يأتي المصطلح الكوفي توضيحًا للبصري وتوسيعًا لمجالات الاستخدام اللغوي وتسهيلًا على مستخدم اللغة. والصفة والموصوف من عبارات البصريين ويقابلهما النعت والمنعوت الكوفيان، ويستخدمهما البصريون كثيرًا، وهما من المصطلحات التي ورثوها من الخليل، فقد قال الخليل بن أحمد: إنّ النعت لا يكون إلا في الصفات المحمودة، وإنّ الوصف يكون في المحمود وفي غيره من الصفات (السامرائي، ١٩٨٧، ص ١٣٣). والفصل من عبارات البصريين نحو: خالد هو المجتهد، وكان خالد هو المجتهد، وإنّ خالدًا هو المجتهد، وظننت خالدًا هو المجتهد، والعماد من عبارات الكوفيين، وهو الضمير اللاغي الذي يتوسّط بين المبتدأ والخبر واسم كان وخبرها واسم إنّ وخبرها ومفعولي ظنّ، ونقل عن الرضي أنّ المتأخرين من البصريين يسمّونه فصلًا لأنه فصل به بين كون ما بعده نعتًا وكونه خبرًا، لأنك إذا قلت: زيد القائم، جاز أن يتوهّم السامع كون "القائم" صفة فينتظر الخبر، فجئت بالفصل ليتعيّن كونه خبرًا لا صفة، وعنه أيضًا أن الكوفيين يسمّونه عمادًا لكونه حافظًا لما بعده حتى لا يسقط عن الخبريّة، كالعماد في البيت الحافظ للسقف من السقوط (المخزومي، ١٩٥٨، ص ٣١٣). أرأيت كيف وضّح مصطلح "العماد" مفهوم "الفصل": فبينما يعمل الفصل تمييزًا للخبر أن يشتبه بالصفة عند البصريين، يأتي العماد حافظًا لسقف الخبر من السقوط عند الكوفيين، وما هذا إلا نتيجة إعمال الفكر في النصوص البصرية والتأمل في مضامينها حيث فهم المسألة وإدراك القضية، فإما نقد بنّاء أو زيادة إيضاح، وهذا ما كان في أمر نحاة الكوفة مع نحو البصرة وليس تطبيق مبدأ "خالف تُعرف". والضمير مصطلح بصري وهو عند الكوفيين "المكنيّ"، وهذه التسمية ارتضاها مهدي المخزومي إذ قال: إنّ تسمية الضمير بالمكنيّ صحيحة مقبولة لأنّ الضمير كناية عن الاسم الظاهر، وإن كان "المكنيّ" أعمّ من الضمير واسم الإشارة واسم الموصول، لأنهن جميعًا كنايات عن الأسماء الظاهرة (المخزومي، ١٩٥٨، ص ٣١٤)، وعند البصريين كل مضمر مكنيّ وليس كل مكنيّ مضمرًا، بينما الكوفيون لا يفرّقون بينهما (السامرائي، ١٩٨٧، ص ١٠٩). وحروف الزيادة مصطلح بصري يقابله عند الكوفيين "حروف الصلة" أو "الحشو"، كما في قولهم: ما من أحد جاء، وكالباء في قولهم: ليس خالد بصديق، أما "إن" الزائدة على رأي البصريين فهي عند الكوفيين نافية غير زائدة ويسمّونها "العازلة" (المخزومي، ١٩٥٨، ص ٣١٥)، فمصطلح "الصلة" ينبئ بأنّ حروف الزيادة تعمل عملًا آخر فوق الحشو. والعطف بالحرف، مصطلح بصري كالواو والفاء وثم وغيرها، يقابله مصطلح "النسق" الكوفي، وقد التزم به كلا المذهبين للتمييز بينه وبين

عطف البيان، ولكن "النسق" أوضح في هذا التمييز لأنه يشير إلى المقصود من لفظته، ويقول المخزومي: "والمصطلح الكوفي، فيما يبدو لي، أدقّ من المصطلح البصري لاختصاره وغنائه عن التخصيص والتقييد" (المخزومي، ١٩٥٨، ص ٣١٤). وعند البصريين: الرفع والنصب والجزم للمعرب، والضمّ والفتح والسكون والكسر للمبني، أمّا الكوفيون فالرفع والنصب والجزم للمعرب والمبني وحالات أواخر الكلمات وغيرها (المخزومي، ١٩٥٨، ص ٣١٤)، مما يسهّل على الطلبة صعوبة دراسة النحو العربي. والظرف مصطلح بصري يقابله "المحلّ" أو "الصفة" عند الكوفيين، فهم يرون أن الظروف ليست بالظروف متناهية الأقطار والأبعاد، كما أنّ من ظروف المكان ما ليس كذلك، وعلى ذلك فقد أطلقوا عليها المحلّ أو الصفة (الخثران، ١٩٩٠، ص ٧١)، والظرف والمحلّ يفيدان معنى واحدًا، إذ الظرف محلّ لما يقع فيه، إلا أنّ تسمية ظرف المكان بالمحلّ أدقّ في الاصطلاح، وقد فرّق الفراء بين الظرف والجار والمجرور في المصطلح، فأطلق المحلّ على الظرف والصفة على الجار والمجرور (المخزومي، ١٩٥٨، ص ١٢٨)، وقسّموها إلى قسمين: صفة تامة، ويريدون بها ما كان من الظرف خبرًا ومحلا للأسماء، كقولك: فيها زيد قائمًا، فالصفة "فيها" خبر لـ"زيد" ومحلّ له، وصفة ناقصة، وذلك إذا كان الظرف غير محلّ للأسماء ولم يكن خبرًا، كقولك: فيك زيد راغب، لأن "فيك" لا تكون محلا للاسم ولا يتمّ بها معنى الكلام إذا حذفت "راغب" (المخزومي، ١٩٥٨، ص ١٣٠)، فيكون الكوفيون بهذا قد وضّحوا ما يكون من الجار والمجرور شبه الجملة مما لا يكون منها. والبدل مصطلح بصري توضّحه المصطلحات الكوفية مثل: الترجمة والتبيين والتكرير والمردود، وهذه تسميات لا تفسرها إلا خصوصية السياقات التي يمكن أن يرد فيها البدل والوظائف الدلالية التي يمكن أن تقيدها، فقد استعمل الكوفيون لفظي "الترجمة" و"التبيين" للدلالة على أنّ البدل يمكن أن يكون موضحًا لمتبوعه ومترجمًا لما يمكن أن يكتنفه من غموض، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ "ويوم عسير" ترجمة "يومئذ"، أمّا لفظ "التكرير" فيورده الكوفيون في السياقات التي يكون فيها البدل إعادة وتثنية لما ورد في لفظ المبدل منه، كقول الفراء إنه لا يجوز أن تقول: مررت بعبد الله غير الظريف إلا على التكرير، لأن عبد الله مؤقت و"غير" في مذهب نكرة غير مؤقتة، ولا تكون نعتًا إلا لمعرفة غير مؤقتة. ويرى "قريرة" أن مصطلح "المردود" الذي اختاره الكوفيون على قدر عال من الدقة تبعًا لدلالته، فهو أقرب إلى مصطلح "البدل"، لأنّ البدل يراد في إعرابه التابع للمبدل منه (زنكنه، ٢٠١٥م، ص ٨). والنفي مصطلح كوفي يخصّصه "الجحد" الكوفي، وقد ذهب الباحث عبد القادر السعدي - بعد أن عرض لخلاف النحاة في هذين المصطلحين: "الجحد" و"النفي" - إلى أنّ مصطلح "الجحد" أقرب لمعنى الإنكار من معنى "النفي" من الناحية اللغوية، لأنه منقول من "جحد"، يقال: جحده حقّه وبحقه كمنعه، جحدًا وجحودًا، أنكره مع علمه، أما "النفي" فإنه يدلّي بمعنى التنحية والابتعاد، نفاه ينفيه: نحاه (أسعد السعدي، ٢٠٠٤، صص ١٨٥-١٨٦). فهذه نماذج من المصطلحات الكوفية التي توضح المصطلحات البصرية في محاولاتها تجاه الاستقلال النحوي، والتشكّل المدرسي من خلال تحديد مصطلحاتها ومناهجها الدراسية والتعصّب إليها والدفاع عنها في جميع المجادلات العلمية والمحاورات المنطقية أو المناظرات اللغوية. ومن تلك الأصول ينبعث الخلاف وإليها يستند ويؤول، وتنتج من الخلاف مصطلحات كثيرة وتتطور، غير أنّ هذه المصطلحات الكوفية قد واجهت انتقادات من النحاة تقدح في قيمتها العلمية ودقتها الصناعية، ومن تلك الانتقادات مع التحليل ما يلي:

قال بعضهم إنّ هذه المبادرة من الكوفيين في تحديد المصطلحات النحوية ما هي إلا تمثيل لمبدأ (خالف تُعرف) (جعفر، ٢٠١٠، ص ٧٣)، وهذا يعني أن الهدف عند الكوفيين، حسب هذا الرأي، هو الشهرة وليس العلم، مع أنّ كلام طالب الشهرة يختلف عن كلام طالب العلم من حيث الدقة والدلالة والوضوح. وقال آخرون إنّ هذه المصطلحات، أو على الأقل أكثرها، أريد بها مجرد مخالفة مدرسة البصرة، حتى إننا نجد عملهم في تمييز الحركات مخالفًا تمامًا للبصريين؛ فالبصريون جعلوا الرفع والنصب والجر والجزم للمعرب، والضم والفتح والكسر والسكون للمبني، فلجأ الكوفيون إلى قلبها وعكسها، غير أنّ النحاة تلقوا ذلك بالرفض (جعفر، ٢٠١٠، ص ٧٤). ورأى بعضهم أنّ في تغيير المصطلحات خلطًا في أذهان الدارسين، ويظهر ذلك في جعلهم ألقاب الإعراب للبناء، فالمبني على الضم يقولون إنه مرفوع، والمبني على السكون يقولون إنه مجزوم، وفي تغييرها عدم الدقة، وبسبب هذا الخلط وعدم الدقة لم تبقَ معظم هذه المصطلحات على ألسنة النحاة في العصور التالية (ضيف، ص ١٦٨). ويفهم من هذا أيضًا أن أمثال الفراء والكسائي وثعلب وغيرهم من نحاة الكوفة أفنوا حياتهم في تحقيق الخلاف بينهم وبين البصرة في النحو، ولهذا دخل أعمالهم الخلط وعدم الدقة، وبمعنى آخر، فإنّ خلفياتهم النحوية ضعيفة، ولهذا تسرّب الضعف في أعمالهم على شكل الخلط وعدم الدقة. وقال الدكتور إبراهيم السامرائي: كأنّ الكوفيين لم يطمئنوا إلى النظر الدقيق في وضع المصطلح، فقولهم: "وقت" لظرف الزمان فيه سعة وافية، وليست في الدلالة ما يحتاج إليه في المصطلح، ثم إنهم يتذبذبون في إطلاقه، فهم تارة يقولون كذا، وأحيانًا يناقضون أو يجمعون بين المختلفين (السامرائي، ١٩٨٧، ص ١٢٨-١٢٩). غير أنّ النظرة الدقيقة المنصفة في أعمال هؤلاء الجهابذة من نحاة الكوفة تنبئ عن الانطلاقية من دافع التطلع الآخذ بصاحبه إلى البحث عن طريق الاستقراء للمسألة، والنقد عن طريق التفكر والتفهّم فالبرهنة، فإذا كانت الاستنتاجات النحوية والاصطلاحية لدى المدرستين متشابهة، فذلك أن الموضوع المدروس واحد وهو النحو، ومباحثه واحدة بين المدرستين، فالفاعل عند البصرة هو نفسه عند الكوفة، لكن النحاة يختلفون بما أوتوا من القدرة على الفهم والتحليل، لذلك اختلفوا في الآراء كما اختلفوا في المصطلحات، وليس بلازم أن يتعمّد الكوفيون مخالفة البصريين في مصطلحاتهم ليُعرفوا، ولتكون لهم مدرسة مستقلة، بل إنهم أعملوا الفكر في المباحث النحوية فتوصّلوا إلى نفس المفاهيم مع البصريين فاتفقوا أو اختلفوا فيها فتناكروا، فأتت مصطلحاتهم متشابهة أو مختلفة. ثم إنّ الاختلاف في المصطلح بين البصريين الأوائل ممن هم من جيل واحد، أكبر من الخلاف بين البصريين والكوفيين مجتمعين، ففي *كتاب العين* للخليل بن أحمد الفراهيدي عدد كبير من المصطلحات لا نجدها عند سيبويه (المهيري، ١٩٨٨م)، فهل نسمّي هذا تعمّدًا يُقصد به مخالفة سيبويه؟ وقد عقد الخوارزمي فصلًا "في وجوه الإعراب وما يتبعها على ما حكي عن الخليل بن أحمد"، ويذكر فيه عددًا مهمًّا من المصطلحات التي تختلف عن مصطلحات سيبويه، بل إنّ الاختلاف في المصطلح بين البصريين المتقدمين ممثلين بشيخهم سيبويه والبصريين المتأخرين مثل ابن مالك وشراح ألفيته، يفوق بأضعاف الخلاف في المصطلح بين البصريين والكوفيين مجتمعين، فهل نسمّي هذا تعمدًا يُقصد به مخالفة سيبويه؟ (أبو دلو، أحمد عيسى، ٢٠٢٠م)، أو أنّ البصريين المتأخرين أرادوا الشهرة من خلال توظيف مبدأ (خالف تُعرف) في الاصطلاحات النحوية؟ وبالنظر إلى الفهرست الذي أعده جيرارد تروبو لمصطلحات *الكتاب*، والفهرست الذي أعده أنطوان

غوغويه لمصطلحات ابن مالك وشراح ألفيته، نرى أن هؤلاء النحاة المتأخرين قد استخدموا ما يزيد عن مائة مصطلح لم يستخدمها سيبويه ولم يعرفها، علمًا بأن الحديث في هذين الفهرسين عن المصطلحات البسيطة المكونة من مفردة واحدة فقط، ولو جمعوا المصطلحات المركبة لكان العدد أكثر بكثير. ومن هذه المصطلحات: الجملة، والمجهول، والمعلوم، والحاضر، والحال، والإغراء، والمطلق، والتمييز، والتنازع، والنواسخ، والبارز، والمجرد، والجامد، والأجوف، واللفيف، والمثال، والحد، والحكم، والوقاية، والصيغة، وغيرها (أبو دلو، أحمد عيسى، ٢٠٢٠م)، فهل نقول إنّ هؤلاء تعمّدوا مخالفة سيبويه ليشتهروا، وهل النحاة البصريون المتأخّرون وصفوا مصطلحات المتقدّمين بالخلط وعدم الدقة؟ كلا؛ إنّه النَّهَمُ العلمي، وروحُ الإبداع، والنظرةُ الدقيقة فيما توارثوه من الأوائل، في وقتٍ لم ينضج فيه النحو العربي ولم يتكامل، إلى أن استقرّت مصطلحاته وثبتت مفاهيمه بما أنتجته أدمغةُ الخَلَف. ج- وفي شأن وصف المصطلحات الكوفية بالتعدّد والتذبذب والاضطراب، يرى الباحث أنّ ذلك يعود إلى الأسباب التالية: أوّلها أنّ الناقدَ يبحث في كتابٍ نحويّ كوفيّ واحدٍ في مسألةٍ نحويةٍ ما، فينقل عنه بعض الألفاظ التي استُخدمت في تفسير المسألة وشرحها فيدّعي أنّها مصطلحاتٌ كوفية، ثم يجد غيرها عند نحويّ كوفيّ آخر فيقول بتعدّد المصطلحات الكوفية، وقد تناولت د. إيناس كمال الحديدي هذه المصطلحات فذهبت إلى أنّ الكوفيين عندما استخدموا تلك المصطلحات لم يكونوا يريدون التحديد، وإنّما كانت غايتهم التفسيرَ والتوضيح، لذلك تعدّدت المترادفات للدلالة على مفهومٍ واحد (زنكنه، ٢٠١٥م، ص ٩)؛ وثانيها أنّ طريقة معرفة المصطلح النحوي الكوفي هي كثرةُ تداوله بين نحاة الكوفة، وخاصةً الكسائي والفرّاء وابنِ السِّكّيت والثعلب وأبي بكر بن الأنباري وغيرهم من المحدَثين، وعلى هذه الطريقة أنكر الباحث صباح حسين محمد أن يكون مصطلحُ "التبيين" من المصطلحات الكوفية لعدم وروده في كتب هؤلاء النحاة وهم صفوةُ أعلامِ الكوفة في النحو واللغة (زنكنه، ٢٠١٥م، ص ٧)؛ وثالثها أنّ الكوفيين يعتمدون على المعنى السياقي في اصطلاحاتهم، ممّا يؤدّي إلى تعدّد المصطلحات لديهم، بخلاف البصريين الذين يعتمدون على الحكم الإعرابي، وقد استند الباحث صباح حسين محمد إلى كلام د. أحمد مكي الأنصاري في عدِّ "البدل" مصطلحًا بصريًّا اعتمادًا على الحكم الإعرابي، أمّا الكوفيون فاعتمدوا على الحكم المعنوي، وربّما كان هذا السرَّ وراء تعدّد المصطلحات لمفهومٍ واحدٍ عندهم بخلاف البصريين (زنكنه، ٢٠١٥م، ص ٨).

الخاتمة

يُعرّف الشريف الجرجاني الخلاف بأنّه منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حقّ أو لإبطال باطل، بينما يعرّفه أبو الوفاء البغدادي بأنّه الذهاب إلى أحد النقيضين من كلّ واحد من الخصمين، ولا يظهر بين التعريفين فرق كبير، غير أنّ تعريف الجرجاني أوضح في عباراته من تعريف أبي الوفاء. وقد مرّ علم النحو بأربع مراحل، غير أنّ التركيز ينصبّ على المرحلتين الأولى والثانية؛ فالمرحلة الأولى هي مرحلة ظهور النحو، وكانت بصرية خالصة، وانقسم رجالها إلى طبقتين: الطبقة الأولى هي طبقة أبي الأسود الدؤلي وعنبسة الفيل ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم الليثي وعبد الرحمن بن هرمز وميمون الأقرن، ولم يكن للخلاف بين هذه الطبقة ظهور واضح، أمّا الطبقة الثانية فهي طبقة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعيسى

بن عمر الثقفي وأبي عمرو بن العلاء، ومع ظهور هذه الطبقة ظهرت أصول النحو، وظهر معها الخلاف النحوي نتيجة بروز فكرة القياس والتعليل. أمّا المرحلة الثانية فهي مرحلة الجدال والمناظرات النحوية، التي أدّت إلى انتشار الخلافات النحوية في الدرس النحوي كلّه، حتى لم تكد توجد مسألة نحوية لم يظهر فيها خلاف، وقد نشأ ذلك بعد انتقال مركز الخلافة من البصرة إلى الكوفة، فاتجه الكوفيون إلى علم النحو، وابتكروا منهجًا خاصًا بهم، وأصبحت لهم مدرسة عُرفت بمدرسة الكوفة في مقابل مدرسة البصرة النحوية. وكان التنافس بين هذين المصرين شديدًا، والخلاف محتدمًا من نواح عدّة؛ فمن الناحية الحزبية كانت الكوفة علوية والبصرة عثمانية، ومن الناحية العنصرية كان أكثر أهل الكوفة من اليمانيين وأكثر أهل البصرة من المِضريين، ومن الناحية العلمية كان أهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة، بينما كان أهل البصرة أصحاب علوم وفلسفات لاتساع اختلاطهم بالأعاجم، وحرّيتهم في اعتناق المذاهب المختلفة، وسرعتهم في الأخذ من الثقافات الأجنبية، لتوافر مصادرها لديهم وكثرة تنقلهم للكسب والتجارة؛ وهذه العوامل مجتمعة أحكمت الاختلافات والتنافس بين المصرين. ويمكن تحديد الدوافع وراء هذا التنافس في جملة من الحوافز الأساسية، هي: الحافز السياسي، والحافز التعصبي، والحافز العلمي، وحافز البيئة اللغوية، وحافز التنافس العلمي والتقدير الاجتماعي، وحافز التأثر بالثقافات الأجنبية، وحافز الاجتهاد، فضلًا عن الحافز المنهجي. وينقسم الخلاف النحوي إلى خلافات إيجابية وهي تلك المستندة إلى أصول النحو ومناهج الدراسة النحوية، وتؤيّدها أدلة نحوية حسية من النصوص الأدبية أو الدينية أو فلسفية مجردة، وخلافات سلبية وهي تلك الناشئة عن التعصّب المذهبي أو السياسي أو العرقي والتنافس المذموم بين نحاة المدرستين، وهذه الأخيرة لا نتائج صحيحة لها ولا فوائد. وعلم النحو من العلوم التي تحتاج إلى مصطلحات علمية دقيقة تعبّر عن حقائقه، وتقرّب معانيه إلى الأذهان، فيسهل فهمها وتعلّمها، وهذه المصطلحات لم تتكوّن مكتملة منذ البداية، بل خضعت للتعديل والتهذيب والنمو والتطور حتى غدت معالم واضحة ودقيقة مألوفة لدى النحاة جميعًا، وقد تولّدت أغلبها من خلال الخلافات العلمية الإيجابية بين البصريين والكوفيين، وخاصة حينما شهدت الكوفة التوجه الاستقلالي في النحو العربي والسعي إلى تحديد مصطلحات خاصة بها في مقابل المصطلحات البصرية، في إطار محاولة للاستقلال النحوي والتشكّل المدرسي عبر مصطلحاتها ومناهجها، والتعصّب لها والدفاع عنها في جميع المجادلات العلمية والمناظرات اللغوية. ومن تلك الأصول نشأ الخلاف وإليها استند. وقد توصّل البحث إلى نتائج عدّة، أبرزها: (١) أنّ خلافات النحاة أسهمت في تكاثر المصطلحات النحوية وتنوّعها، وأدّت إلى نموّ النحو العربي واتساع مسائله وتعدد مؤلفاته وشروحه وعلمائه، فلولاها لظلّ النحو راكدًا؛ (٢) أنّها ساعدت في توضيح غوامض المصطلحات وتيسير فهم علم النحو، إذ إنّ أكثر المصطلحات الكوفية كانت بمثابة مترادفات توضيحية للمصطلحات البصرية؛ (٣) أنّ مبادرة الكوفيين في تحديد المصطلحات النحوية لم تكن تطبيقًا لمبدأ "خالف تُعرَف" بل جهدًا علميًّا وشجاعة أدبية؛ (٤) أنّه ليس صحيحًا أنّ تلك المصطلحات أُنشئت لمجرد مخالفة البصريين، بل كانت نتاج النهم العلمي وروح الإبداع والنظرة الدقيقة فيما ورثوه عن الأوائل؛ (٥) أنّ تنوّع المصطلحات لم يكن خلطًا يربك الدارسين، بل كان المصطلح الكوفي تبيانًا للمصطلح البصري وتوضيحًا له؛ (٦) أنّ من أسباب تعدد المصطلحات الكوفية أنّ بعض النقاد كانوا يجمعون ألفاظًا

استخدمها نحاة الكوفة في شرح المسائل النحوية من غير قصد اصطلاحي ثم يثبتونها كمصطلحات كوفية، كما أنّ اعتماد الكوفيين على المعاني السياقية في التسمية أدّى إلى تنوع مصطلحاتهم بخلاف البصريين الذين اعتمدوا على الأحكام الإعرابية. ويوصي الباحث باعتماد معيار كثرة الاستعمال وتداوله بين نحاة الكوفة، ولا سيما عند الكسائي والفرّاء وابن السكيت والثعلب وأبي بكر بن الأنباري وغيرهم من المحدثين، في التحقق من المصطلح النحوي الكوفي، كما يوصي بإعداد كتيّب خاص بالمصطلحات النحوية بين المذهبين البصري والكوفي يُدرَّب عليه طلاب النحو في السنة الأولى تمهيدًا لدراسة المذاهب النحوية.

المصادر والمراجع

1. Abu al-Wafā, ʻAlī ibn ʻAqīl al-Baghdādī. t.t. *Argumentation*. Miṣr: Miṣr Press.
2. Abu Dalo, Ahmed Muhammad & Talafha, Amjad Issa. 2020. Grammatical disagreement and the reality of grammatical schools. *Al-Balqa Journal of Research and Studies* 16(2): 74.
3. Al-Isfahānī, al-Rāghib. t.t. *Vocabulary of the Words of the Qur'an*. Ent. "Khalaf". Dimashq: Dār al-Qalam.
4. Al-Jurjānī, ʻAlī ibn Muḥammad al-Sayyid al-Sharīf. t.t. *Dictionary of Definitions*. Terj. Muḥammad Ṣiddīq al-Minshāwī. Saudi Arabia: Dār al-Faḍīlah.
5. Al-Khathrān, ʻAbd Allāh bin Ḥamad. 1990. *Kufi Grammar Terms: A Study and Defining Their Meanings*. Ṭ.1. al-Qāhirah: Hijr for Printing, Publishing, Distribution, and Advertising.
6. Al-Mahri, ʻAbd al-Qādir. 1988. On the margins of grammatical terminology in *Kitab al-'Ain*. *Annals of the Tunisian University* 27: 23–30.
7. Al-Makhzūmī, Mahdī. 1958. *The Kufa School and its Approach to the Study of Language and Grammar*. Ṭ.2. Miṣr: Maktabat wa Maṭbaʻah Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī wa Awlāduh.
8. Al-Saʻdī, ʻAbd al-Qādir ʻAbd al-Raḥmān Asʻad. 2004. *Kufian Grammatical Terms*. [Tesis Sarjana tidak diterbitkan]. Universiti al-Azhar, Fakulti Bahasa Arab, Jabatan Linguistik.
9. Al-Samarra'ī, Ibrāhīm. 1987. *Grammar Schools: Myth and Reality*. Ṭ.1. ʻAmmān: Dār al-Fikr.
10. Al-Zujājī, Abū al-Qāsim ʻAbd al-Raḥmān ibn Isḥāq. 1983. *Scholarly Councils*. Terj. ʻAbd al-Salām Muḥammad Hārūn. Ṭ.2. al-Qāhirah: Maktabat al-Khanjī.
11. Daif, Shawqī. t.t. *Grammar Schools*. Ṭ.7. al-Qāhirah: Dār al-Maʻārif.
12. Ḥusayn, Akram Nāṣir Nāṣir. 2019. Grammatical disagreement: Its origins, causes, and manifestations. *Journal of the Arabian Peninsula Center for Educational and Human Research* 1(1): 153–169.
13. Ibn ʻAlī, Muḥammad Amashī. 2019. The term "foreign" and "non-foreign" in Arabic grammar: An analytical and critical study. *Al-Nabras Academic Journal* 1(2): 30–55.
14. Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Makram ibn ʻAlī Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn. 1314H. *Lisān al-'Arab*. Jil. 9. Ṭ.3. Bayrūt: Dār Ṣādir.

15. Ja'far, 'Abd al-Nabī Muḥammad Muṣṭafā Haybah. 2010. *Differences among Grammarians, Its Fruits and Effects on Grammatical Studies*. [Tesis Sarjana tidak diterbitkan]. Universiti Omdurman, Sudan.
16. Makram, 'Abd al-'Āl Sālim. 1993. *The Missing Link in the History of Arabic Grammar*. Ṭ.1. Bayrūt: Mu'assasat al-Risālah.
17. Sa'ad al-Zūbī, Bāsil Fayṣal, al-Quṣayrī, Muwafaq 'Abd Allāh, Bint Aḥmad, Ḥajjah Salmā & 'Ārifīn, Zamrī. 2009. Grammatical terminology between the Basrans and Kufians. *Journal of Humanities* 6(41): 8. https://ebook.univeyes.com/10380
18. Zangana, Aḥmad Khalīl Ḥabīb. 2015. *Analogous Grammatical Terms between Basrans and Kufians in Modern Scholars*. [Tesis PhD tidak diterbitkan]. Universiti Diyala, Kolej Pendidikan Asas, Jabatan Bahasa Arab.